إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الخامسة – العدد الثامن عشر – صيف ١٣٩٤ش / حزيران ٢٠١٥م
صص ١٤٥ ـ ١٢١

المصاحبة اللفظية فى شعر لبيد بن ربيعة العامرى؛ دراسة دلالية

سيد محمود ميرزايى الحسينى*
على نظرى**
يونس وليئى (الكاتب المسؤول)***

الملخص

المصاحبة اللفظية ظاهرة لغوية تشيع فى جميع اللغات ولا تختّص بلغة واحدة، والمراد منها هو الترابط المعتاد لكلمة ما فى لغة ما بكلمات أخرى معينة فى جمل تلك اللغة. وهى مبحث مهم فى علم الدلالة، لأن لها دورًا هامًا فى توجيه دلالة كثير من الألفاظ والتراكيب وهى سمة مميزة لبنية النّصّ ومفتاح لقراءته وتحليله وتفكيكه. هذه الظاهرة تؤكد على أننا بحاجة إلى النظر فى تراكيب الألفاظ وتلازمها وتصاحبها للوصول إلى المعنى المراد إضافة إلى المعنى المعجمى للألفاظ. تحليل المصاحبات وتصنيفها يميطان اللثام عن المقومات الأسلوبية فى لغة الشاعر ونظامه الفكرى ويساعدان القرّاء والنقاد على إصدار حكم نقدىّ واقعى بالنسبة إلى الشاعر. يقوم هذا البحث بتتبّع المنهج التوصيفى – التحليلى بدراسة أشعار لبيد بن ربيعة العامرى من منظار علم الدلالة وخاصة ظاهرة "المصاحبة اللفظية" للإجابة عن السؤالين الأصليين: ما هى وجوه المصاحبة اللفظية الموظّفة فى شعر لبيد؟ وكيف تسهم هذه الظاهرة فى تحديد دلالة التراكيب والألفاظ وفى إدراك المعنى؟ يظهر من خلال هذا المقال أن الشاعر وظّف المصاحبات اللفظية على المستويين الأساسيين الفعلى والاسمى بأنماطهما المختلفة فى شعره. ونرى أنّ المصاحبة اللفظية لها أهمية خاصة فى الوصول إلى غرض الشاعر لأن بعض الأحيان تحصيل المعنى المقصود لا يمكن إلا عن طريق دراسة هذه الظاهرة اللغوية.

الكلمات الدليلية: علم الدلالة، المصاحبة اللفظية، المصاحبة الفعلية، المصاحبة الاسمية، لبيد بن ربيعة العامرى.

---

*. أستاذ مساعد فى اللغة العربية وآدابها بجامعة لرستان، إيران mahmudalhosaini@gmail.com
**. أستاذ مشارك فى اللغة العربية وآدابها بجامعة لرستان، إيران
***. طالب مرحلة الدكتوراه فى اللغة العربية وآدابها بجامعة لرستان، إيران
التنقيح والمراجعة اللغوية: د. جميل جعفرى
تاريخ الوصول: ١٣٩٣/١١/٢١ش تاريخ القبول: ١٣٩٤/٥/١٩ش

المقدمة

يعــرف علم الدلالة بأنه «ذلــک الفرع من علم اللغة الذى يتنــاول نظرية المعنى.» (مختــار عمر، ١٩٩٨م: ١١) والهدف من علم الدلالة هو الوصول إلى المعنى؛ فالتراكيب هــى من أهمّ وحدات اللغة ومســتوياته الهامّة التى يجــب أن تعالج لتحقيق هذا الهدف. بعــض الأحيان لا يمكن الوصول إلى المعنى إلا عن طريق تحديد المعنى الذى تكتســبه الكلمة من خلال تصاحبها مع كلمات أخري، إذن أحســن طريقة لفهم معنى الكلمة هو وجودها فى التركيب الذى يســهم فى إبراز معناها. والمصاحبة اللفظية هى ظاهرة لغوية تلعب دورًا هامًّا فى ربط الكلمات بعضها ببعض وفى تحديد معنى الكلمة. (حسام الدين، ٢٠٠٠م: ١، ٣٧)

المصاحبــة هــى ترجمة للكلمة الانجليزيــة "collocation" و فــيرث هو أول من اســتخدم هذا المصطلــح. (يونس على، ٢٠٠٤م: ١٢٢) تعــدّدت الترجمات لهذه الكلمة الإنجليزيــة ومنها: التلازم؛ الاقــتران اللفظى؛ الرصف والنظم؛ التضــام؛ قيود التوارد؛ الاقتران المأثور؛ المقترنات اللفظية؛ المتواردات اللفظية. (عبد الفتاح الحسينى، ٢٠٠٧م: ٦٦) المصاحبــة اللفظية هى كلمتــان أو كلمات ينظر إليها علــى أنها وحدات معجمية مفردة، مســتخدمة بحكم العادة فى ترابــط بعضها مع بعض فى لغةما. فكلّ كلمة لها مدى معين فى المصاحبة، وهذا المدى هو الذى يحدد اســتعمالها المؤدى للمعنى. (الدســوقى، ١٤٢٠ق: ٢٧٩) وهى «تعنى التكرار المشترک لبعض الألفاظ.» (حسام الدين، ٢٠٠٠م: ١، ٣٧) أو «الترابــط المعتــاد لكلمــة ما فى لغة ما بكلمات أخــرى معينة فى جمل تلک اللغة.» (يونس على، ٢٠٠٤م: ١٢٢)

تنقسم المصاحبات اللفظية حسب درجة تلازم الألفاظ بعضها ببعض إلى قسمين:

المصاحبات اللفظية المفتوحة (الحرّة)Open collocations : هى أن ترد لفظتان أو أكثر معًا مع إمكانية اســتبدال لفظ بآخــر دون أن يكون لذلک أثر على المعنى. ففى اللغــة العربية يمكننا القول مثــلا "بادئ الأمر" وقد نقول "أول الأمــر" فعلى الرغم من استبدال كلمة "بادئ" بمرادفها "أول" لم يخل ذلک بالمعنى. (طالبى، ٢٠٠٨م: ٦٢)

المصاحبــات اللفظية المقيّــدة Restricted collocations: هى أن ترد لفظتان

معًا بحيث تستعمل إحداهما بمعناها الحرفى وتستعمل الأخرى بمعناها المتخصص الذى يمكن أن يكون مجازيا. هذا النوع من المصاحبات يعكس معنى الأجزاء المكوّنة لها، مثلا فى «يشقّ طريقه» لا يعنى الفعل «يشق» معناه الحرفى أى «أن يقسم المرء شيئا إلى شطرين» بل معنى مجازيا هو "أن يسلك المرء طريقا صعبا". (المصدر نفسه: ٦٢)

المصاحبة اللفظية نوعان حسب درجة توقعها لدى المخاطب:

المصاحبة اللفظية العادية أو المتوقعة: وهى التى تعتمد على اتفاق واصطلاح المتكلمين باللغة. فإذا قال المتكلم: «غُصن»، توقع المخاطب كلمة «شجرة»، وإذا سمع كلمة «خرير» توقع كلمة "الماء".

المصاحبة اللفظية غير العادية أو غير المتوقعة: يرتبط هذا النوع بخصوصية النصّ ومبدعه سواء أكان كاتبًا أوشاعرًا. (حسام الدين، ٢٠٠٠م: ١، ٣٧)

المتلازمات اللفظية بديهية فى أغلب الأحيان، لا يشعر المرء بها حين استعمالها. تطفو هذه المعرفة البديهية على السطح حينما يحطّم متلازم لفظى معروف باستعماله خطأً أو بتركيبه من عناصر غير متجانسة. (غزالة، ١٩٩٣م: ١) للبيئة أثر كبير فى تكوين قطاعات كبيرة من المصاحبات بين الألفاظ فمسألة قبول هذه المصاحبات أو رفضها يعود للبيئة المحيطة، مثلا فى مصر يعبّر عن الاتفاق وصيانة العهد والوفاء بـ«العيش و الملح» وفى السعودية يقال «تمر ولبن». (عبد الفتاح الحسينى، ٢٠٠٧م: ١٠٢)

معيار المصاحبات اللفظية هو الإلف والعادة، وقال الدكتور الدسوقى: «الإلف والعادة هما اللذان يتحكمان فى استقرار استخدام لغوى ما، وهما اللذان يحكمان «التوقع» لوجود كلمة فى مصاحبة كلمة أخرى، وهذا التوقع يعنى أن جزءًا من معنى الكلمة الثانية يصاحب الكلمة الأولى». (الدسوقى، ١٤٢٠ق: ٢٨٠)

أهمية المصاحبة تتضح فى تحديد الدلالة فهى لا شك تسهم فى تحديد معنى الكلمة وتعين فى التمييز بين المفاهيم، فبها تحدد الكلمات التى يمكن أن تتوافق والتى يمكن أن تتفارق. (صالح حسنين، لاتا: ٨١) كما تتضح فى تحديد المعنى المعجمى المراد لأنها توقفنا على التجمعات التى ترد فيها الكلمات أو بعبارة أخرى معرفة السياقات اللغوية التى يحتمل استخدامها فيها، ويشبه ذلك إلى حدّ كبير ما يعرف عند المفسرين العرب باسم

«الوجوه (الأشباه) والنظائر» فى القرآن الكريم حيث يستعمل اللفظ الواحد فى سياقات مختلفة عديدة بمعان مختلفة. (البركاوى، ١٩٩١م: ٥٣)

وترمى هذه المقالة إلى دراسة ظاهرة المصاحبة اللفظية فى شعر لبيد بن ربيعة العامرى الذى يعدّ من أبرز الشعراء العرب فى العصر الجاهلى ومن أصحاب المعلّقات السّبع. يتميّز شعر لبيد بجزالة الألفاظ والتعابير والحبك المعجمى والسبك اللغوى، وتلعب المصاحبات اللفظية المتعددة على المستويين الفعلى والاسمى فى شعره دورا هاما لصلابة كلامه حيث تعدّ من أهمّ الميزات اللغوية والأسلوبية لهذا الشاعر الحكيم الجاهلى.

و يحاول هذا البحث فى إطار الأسلوب التوصيفى– التحليلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

كيف تسهم المصاحبات اللفظية فى شعر لبيد فى تحديد المعنى؟

ما هى أنواع المصاحبات الموظفة فى شعر لبيد؟

أى نوع من المصاحبات اللفظية أكثر الشاعر من استخدامه؟

خلفية البحث

قد سبقت بحوث متعددة حول المصاحبة اللفظية هذا البحث، منها: مقالة "ترجمة المتلازمات اللفظية" (١٩٩٣) للدكتور حسن غزالة، التى تحدّث فيها الكاتب عن أقسام المتلازمات اللفظية، ومقالة "المصاحبة اللفظية وتطور اللغة" (١٩٩٩) للدكتور إبراهيم الدسوقى، ورسالة "الإحالة والمصاحبة فى شعر محمود حسن إسماعيل" (٢٠٠٦) لأسامة محمد سليم عطية. ومقالة "المصاحبة اللفظية فى شعر شوقى" (٢٠٠٤) لفريد عوض حيدر، ورسالة جامعية "المصاحبة اللغوية وأثرها فى تحديد الدلالة فى القرآن الكريم" (٢٠٠٧) لحمادة محمد عبد الفتاح الحسينى.

وأما حول شعر لبيد فقد أجريت دراسات كثيرة، وهنا نشير إلى بعضها: "المعجم اللغوى لديوان لبيد بن ربيعة" (١٩٨٠) لإبراهيم عبد البارى إبراهيم الشافعى. رسالة "الأساليب الإنشائية فى شعر لبيد بن ربيعة مواقعها ودلالتها" (١٤٣٠) لبدرية منور العتيبى."شعر لبيد بن ربيعة دراسة أسلوبية" (٢٠٠٥) لوائل عبد الفتاح أحمد محمد. مقالة

"الإيقاع والدلالة فى شعر لبيد بن ربيعة دراسة لغوية" (٢٠١١) لليلي السبعان. رسالة "البناء الدرامى لشعر لبيد بن ربيعة العامرى الجاهلى" (١٩٧٤) لمحمد صديق عمر غيث. وعلى حد ما نعلم لا يوجد أى بحث قام بدراسة المصاحبة اللفظية فى شعر لبيد بن ربيعة العامرى، ولهذا يمكننا القول إن هذا المقال هو أول بحث تطرق إلى دراسة هذه الظاهرة اللغوية فى شعر لبيد.

المصاحبات اللفظية فى شعر لبيد

تنقسم المصاحبات اللفظية فى شعر لبيد إلى قسمين أساسيين: المصاحبة اللفظية على مستوى النمط الفعلى والمصاحبة على مستوى النمط الاسمى ولكلّ منهما أشكال متعددة:

١. المصاحبة اللفظية على مستوى النمط الفعلى

تتكوّن المصاحبة اللفظية الفعلية من فعل وكلمة أخرى تتصاحبان غالباً بسبب علاقتهما الوطيدة. ويأتى هذا النوع من المصاحبة اللفظية فى أشكال وصور مختلفة، كصورة الفعل والفاعل، والفعل والمفعول به، والفعل وحرف الجر، والفعل مع فعل آخر فى صورة العطف، ومنها فى شعر لبيد:

ألف) المصاحبة بين الفعل والفاعل

قد أورد الشاعر بعض أفعال فى صحبة فاعل خاص بسبب الصلة القوية بين الفعل وفاعله:

طاش السهمُ

صادَفنَ مِنها غِرَّةً فَأَصَبنَها إِنَّ المَنايا لا تَطيشُ سِهامُها

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٤٦)

طاش بمعنى انحرف، وطاش السهم: انحرف وعدل عن الهدف، وطاش سهمه يقال لمن ضلّ وأخطأ الصواب. والشاعر فى هذا البيت استخدمه للموت وأراد منه أن الموت يصيب من يقصد وينالله ولا مخلص ولا مفرّ له من هجوم الموت. واستعار الشاعر السهام

للموت واستعار للأخطاء لفظ الطيش؛ لأن السهم إذا أخطأ الهدف فقد طاش عنه. (الزوزنى، ٢٠٠٤م: ١٥١)

تغيّب النجمُ

سَريتُ بهم حتّى تغيّبَ نجمُهم وقالَ النَّعُوسُ:نوّرَالصبحُ فاذهبِ

(لبيد، ١٩٩٧م: ٢٩)

«تغيّب النجم» مصاحبة لفظية تدلّ على أن الليل قد انتهى وطلع الصبح وبدا. والشاعر فى هذا البيت افتخر بنفسه بالقول إنه رجل يهدى أصحابه فى الليل. والهداية فى الليل تدلّ على أن الشاعر لكثرة أسفاره ودؤوبه فى السير يعرف مواقع النجوم ويهدى الآخرين بها ويجد طرق الصحارى ويصل إلى مرماه دون أن يضلّ وينحرف.

اصفرّت الأناملُ

وكلُّ أناسٍ سوف تدخُلُ بينهم وُيَهيةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

(لبيد، ١٩٩٧م: ١١١)

قد جاء الفعل (تصفرّ) مصاحبًا للفظة الأنامل فى هذا البيت، وتدلّ المصاحبة فى تركيب "تصفرّ الأناملُ" على الموت؛ العرب عبروا عن الموت بعبارات مختلفة داخلة فى باب الكناية، منها "اصفرت أنامله" لأن اصفرار الأنامل من صفات الموتي. (ابن ابى الحديد، لاتا: ٥، ٤٥) صفرة الأنامل لا تكون إلا لدى الموت، والمرء إذا مات تصفرّ أنامله وتسودّ أظافره. وقد أراد الشاعر من الإتيان بهذه المصاحبة أن يقول إنّ كلّ الناس لا بدّ أن يواجهوا الموت ولا مفرّ لهم عنه.

اسجهرّ الآلُ

وناجيةٍ أنعلتُها وابتذلتُها إذا ما اسجهرّ الآلُ فيكلّ سبسب

(لبيد، ١٩٩٧م: ٣٢)

اسجهرّ: ظهر وانبسط. والآل: السراب. واسجهرّ السراب إذا تريّه وجرى. (ابن منظور، لاتا: ٣، ١٩٤٨) "إذا اسجهرّ الآل" مصاحبة لفظية تفيد زمن اشتداد الحرّ.

وقد أراد الشـاعر من اسـتخدام هذه المصاحبة اللفظية أن يصف قوة ناقته فى السير فى الشـدائد بالقول إنها ناقة سريعة وقوية تسـير فى المفاوز فى الهواجر حين يمتد السراب وينبسط من شدة الحرارة.

فاض العينُ

دَعَتـنى وفاضَت عينُها بخَدُورةٍ فجئتُ غِشاشاً إذ دَعَت أمُّ طارقٍ

(لبيد، ١٩٩٧م: ٨٦)

الشـاعر اسـتخدم لفظة "فاض" مع لفظة العين، وهو مجاز مرسل بالعلاقة المحلية أى دمـع العين فاض؛ لأن العين لا تفيض بل الدمع هو الـذى تفيض. وفاضت العين بمعنى البكاء، و يستعمل مصطلحات أخرى للبكاء أيضا وهى "سحت جفونه" و"سالت غروبه" و"سـالت مذراف عينيه" و"ذرفت آماقه". (اليازجى، ١٩٨٥م : ٧٤) مع أن فعلى "فاض وسال" لهما وزن عروضى واحد لكن الشاعر استخدم فى هذا البيت لفظة "فاض"؛ لأن الفيضان دلالته أشـدّ من السيلان. فى ظلّ استعمال هذا اللفظ أراد الشاعر إظهار شدة بكاء حبيبته لكثرة حزنها وحنينها.

ب) المصاحبة بين الفعل والمفعول به

قد جاء بعض الافعال المتعدية مع مفعول خاص بسبب علاقتهما الوطيدة، منها:

توجّس الرزّ

فَتَوَجَّسَـت رِزَّ الأَنيسِ فَراعَها عَن ظَهرِ غَيبٍ وَالأَنيسُ سَقامُها

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٤٧)

التوجّس هو التسّـمع إلى الصوت الخفى. (ابن منظـور، لاتا: ٦، ٤٧٧٢) والرزّ هو الصوت تسـمعه من بعيد وفى الأصل هو الصوت الخفى. (المصدر نفسـه: ٣، ١٦٣٥) قد ورد فعل توجّس مصاحبًا للرزّ وما جاء فى لسان العرب يظهر تلازم الكلمتين وتناسبهما معًا. يوجد فى البيت تلاؤم خاص وتناسـب قوى بين كلمات "التوجس" و"الرز" و"عن ظهر غيب"؛ لأنّها سمعت صوت الناس من بعيد وهو صوت خفى، واختيار هذه الكلمات

المتلائمة وتناسبها مع المعنى يدلّ على قدرة الشاعر فى انتقاء ألفاظه.

أخمر ظنّةً

ألفتُك حتى أخمرَ القومُ ظنّةً علىَّ بنُو أمّ البنينَ الأكابرُ

(لبيد، ١٩٩٧م: ٦٣)

أخمر بمعنى أضمر وستر. الظنّة: الشک والريبة. و"أخمر ظنّة" بمعنى أضمر الشک والريبة وتفيد أن القوم تشكّكوا فى مدى إخلاص الشاعر ومحبته لهم.

ثلّ العرشَ

وعبد يغوثٍ تحجلُ الطيرُ حولَه وقد ثلّ عرشيه الحسام المذكر

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٩١)

ثلّ بمعنى هدم وأهلک. والعرش هو مغرز العنق فى الكاهل. (ابن منظور، لاتا: ١، ٥٠٢) وثلّ عرشيه الحسامُ بمعنى ضُربَ عنقه بالسيف، وهذه المصاحبة تدلّ على أنّ عبد يغوث قُتل وهلک.

فکّ الكبلَ

وعانٍ فَككتُ الكبلَ عنه، وسُدفةٍ سريتُ، وأصحابى هديتُ بكوكبى

(لبيد، ١٩٩٧م: ٢٩)

و"فکّ الكبل" بمعنى فصل أجزاءه وفتحه. وفک الكبل عن العانى بمعنى حرّره. وقد أتى الشاعر بهذه المصاحبة ليفتخر بنفسه بالقول إنّه رجل شريف وكريم وسخى يطلق الأسرى.

صرم الحبالَ

صَرمتُ حبالَها وصددتُ عنها بناجيةٍ تجلُّ عن الكلال

(لبيد، ١٩٩٧م: ٩١)

صَرَمَ بمعنى قطع، وكثيراً ما يستعمل مع الحبل كما ورد فى هذا البيت بصحبة الحبل.

والحبال مجازًا أسباب الحب والمودة، "صرمت حبالها" مصاحبة لفظية ولها معنى استعارى فى هذا البيت. شبّه الشاعر العشق بينه وحبيبته بحبل يربط بينهما والمصاحبة "صرمت حبالها" تدل على القطيعة. (اليازجى، ١٩٨٥م: ٨٤) وتعنى: تركت حبيبتى وانصرفت عنها وقطعت أسباب العلاقة والمودّة.

خَمَشَ الوجهَ

فقُوما فقُولا بالذّى قد علِمتُمَا ولا تَخمِشَا وجهاً ولا تحلِقا شَعَر

(لبيد، ١٩٩٧م: ٧٤)

خَمَشَ: خدش الوجه وجرح بشرته. قيل إنّه قد يستعمل فى سائر الجسد. (ابن منظور، لاتا: ٢، ١٢٦٥) وقيل إنّه لا يستعمل إلاّ فى الوجه. (الزمخشرى، لاتا: ١، ٢٦٦)

توجد مصاحبة أخرى فى هذا البيت وهى "لا تحلقا الشعر"؛ لأن أحد معانى الفعل "حلق" هو إزالة الشعر وإذا استعمل بهذا المعنى لا يستعمل إلا مع الشعر ويستدعى ذكر هذا الفعل لفظ الشعر.

الناس كانوا يجرحون بشرة وجوههم ويحلقون شعر رأسهم فى المصائب وفى مناسبات الحزن خاصة بعد موت أحدهم. والشاعر قد ذكر هاتين السنتين ولكنه نهى مخاطبيه عن فعلهما، وقد أراد من استخدامهما السلبى أن يقول اصبرا واجلدا فى المصائب والشدائد ولا تحزنا ولا تجزعا.

أبيتَ اللعنَ

يُخبِرك عن هذا خبيرٌ فاسمعه مَهلاً أبيتَ اللعنَ لا تأكل معه

(لبيد، ١٩٩٧م: ٨٣)

"أبيت اللعن" مصاحبة لفظية سميّت "بمصاحبة الإطراء". وهذا النوع من المصاحبة تدلّ على عبارة خاصة تستخدم فى الاطراء والثناء، ومن أمثلته: لا فُضّ فوك، وسلمت يداك. (غزالة، ١٩٩٣م: ١١) و«أبيتَ اللّعن من تحايا الملوك فى الجاهلية والدّعاء لهم، معناه أبيت أن تأتى من الأمور ما تُلعَنُ عليه وتُذمُّ بسببه.» (ابن منظور، لاتا: ١، ١٥)

عضّ الأناملَ

وأثنوا عليه بالذى كان عنده وعضّ عليهِ العائداتُ الأناملا

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٠٣)

العضّ هو الشّـد بالأسنان على شيء. وهنا ورد مع لفظة "الأنامل" ولها معنىً كنائى وهى كناية عن الأسـف والحسرة والندّم، كما تسـتعمل تعابير أخرى لهذا المعنى أيضًا وهـى "عضّ على يـده" و"عضّ على بنانه" و"قد أكل بنانه ندمـا" و" أفنى يديه ندما". (اليازجـى، ١٩٨٥م: ٩٦) وتفيد هذه المصاحبة فى هذا البيت أن الناس تلهّفوا على من له الذكر الحسن بعد موته وأسفوا وتحسّروا على فقده.

اجتياب الخرق

وأبيضَ يجتابُ الخُرُوقَ على الوَجى خطيباً إذا التـفّ المجامعُ فاصلا

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٠٤)

اجتاب بمعنى جاب وقطع. والخرق بمعنى المفازة الواسـعة البعيدة يشتدّ فيها هبوب الرّياح. (المعجم الوسـيط، ٢٠٠٤م: ٢٢٩) والإتيان بهذه المصاحبة يدلّ على أن ممدوح الشـاعر هو رجل عزّام وذو همّة عالية ويكتسـب ويحصل ما يريد ولا يصدّه شيء عما يروم ويؤمّ، كما أنّه يجوب ويقطع المفاوز مع ألم فى رجله.

ج) المصاحبة العطفية (بالعلاقة التضادية)

التضاد هو الجمع بين شيئين متضادين. (السكاكى، ١٩٨٠م: ٦٦٠) وهو من المحسنات المعنوية التى لها أثر بالغ فى إبراز المعنى وتجميل الأسـلوب ويضفى على الكلام حسـًنا وجمالًا ويزيده رونقًا.

تشـكل بنية التضاد خلخلة فى بنية اللغة التى تصبح قائمة على المخالفة والمصادمة، ولكن هذه الخلخلة كفيلة بإيقاظ القارئ واسـتنفاره، كما أنها تقود إلى اليقظة لمواجهة مثل هذه الظاهرة الأسـلوبية بشـكل يحقق فيها اتصالا مع النص المـدروس. (ربابعة، ٢٠٠٠م: ١٥٠) بلاغة التقابل لا تأتى من تضاد لفظين مجردين من السياق والبناء اللغوى وإنما يكون غموضها عندما تندمج وتلتبس مع قوالب المعانى فتصبح مرتكزًا بنائيا يتكئ

عليه النص اللغوى فى مكوناته وعلاقاته، فتتولد جماليتها من اندماجها وإضاءتها للنص اللغــوى، مؤدية إلى وضــوح دلالات تراكيبية. القيمة الفنيــة للتقابل تكمن فيما يحدثه التضادّ من أثر متميز فى الدلالة على صور ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه فيتبين ما هو حسن منها ويفصله عن ضده. (مطلوب، ١٩٨٢م: ٤٤٣)

وظّف الشاعر فى بعض الأبيات كلمتين متضادتين بينهما علاقة قوية تؤدى إلى تصاحبهما غالبًا وتؤدى أحيانًا إلى أن يخطر ببال الســامع والقارئ متضادُ الكلمة التى سمعها بســبب صلتهما القوية، وبعض الكلمات قد تُعرف بضدّها بسبب علاقتهما الوطيدة، ومنها:

أمرّ وأحلى

وألقى تكنيّه الشّــجاع استكانةً من الجوعِ صُمتاً لا يُمرّ ولا يُحلى

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٢٥)

الصلة الوطيدة بين كلمتى "أمرّ" و"أحلى" قد أدّت إلى أن يســتخدمهما الشاعر معًا. وفعل "أمرّ" فى هذا البيت هو كناية عن الضرّ والشــرّ، وفعل "أحلى" هو كناية عن النفع والخير والإحسان. والمصاحبة فى تركيب "لا يمرّ ولا يحلى" تفيد أن الإنسان الشجاع لا يستطيع أن يفعل شيئًا ولا يقدر أن يضرّ ويؤذى ولا أن ينفع ويحسن. (لبيد، لاتا: ١٥٠)

يحمد ويلام

وبكلٍّ ذلک قد سعيتُ إلى العُلى والمــرءُ يُحمَــدُ ســعيُه ويُــلامُ

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٣٣)

قد أراد الشاعر من استخدام هذه المصاحبة "يحمد ويلام" فى النمط العطفى أن يقول إن مســاعى المرء لا تُقبَل لدى جميع الناس بل ســعيه لدى بعضهم مقبول ويستحسنونه ويحمدونــه ولدى بعضهم مرفوض ويلومون صاحبه. (المصدر نفســه: ١٣٣) وهذا الأمر يدل على أن الناس يختلف آراؤهم ويحبّ بعضهم ما يكرهه الآخرون.

د) المصاحبة بين الفعل والحرف

للحروف صلة وطيدة بفهم المعانى؛ لأن كثيراً من القضايا الدلالية يتوقف فهمها علي

فهم الدلالة التى يؤديها الحرف فى النصّ، وسميت حروف معان لهذا الغرض، لأنها تصل معانى الأفعال إلى الأسماء، أو لدلالتها علي معنى. تقوم حروف المعانى بدور مهم فى بنية الجملة للغة العربية من جهة الدلالة على المعنى، أو الترابط والتماسك بين مفرداتها لتوضيح العلاقة بينها، مما لا يمكن أن يؤدَّي بغيرها من أقسام الكلام. (خليفة راشد، ١٩٩٦م: ١٧٥)

تركيب الفعل والحرف من أبرز صور المصاحبة اللغوية التى يتجلّى فيها دور المصاحبة اللغوية فى تحديد المعنى. «إنّ الفعل يظلّ عام الدلالة، حتى تأتى الحروف فتختص دلالته فى معنى محدد، ومن هنا تكتسب الحروف المركّبة مع الأفعال أهمية قصوى فى الدلالة. الفعل يختلف معناه باختلاف الحرف الداخل عليه.» (داود، ١٤٢٣ق: ١، ٦)

تنقسم المصاحبة اللفظية بين الفعل والحرف إلى قسمين فى ديوان لبيد:

١- الأفعال المتعدية بواسطة الحروف: استخدم الشاعر حرف الباء لتعدية الأفعال اللازمة.

باء بـــ

أَنكَرتُ باطِلَها وَبُؤتُ بِحَقِّها عِندى وَلَم يَفخَر عَلَىَّ كرامُها

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٥٢)

"باء" فعل يستخدم إما مع حرف "إلى" وإما مع حرف "باء"، وإذا استخدم مع "إلى"يكون بمعنى "رجع"، باء إلى الشيء: رجع إليه. وإذا استخدم مع "باء" فلها ثلاثة معان، أحدها بمعنى رجع والآخر بمعنى عادبـ والأخير بمعنى أقرّ بـ والشاعر فى هذا البيت استخدمه مع حرف الباء وهى التى يتوصل بها الفعل اللازم إلى المفعول به وتسمي باء النقل أيضاً، وهى المعاقبة للهمزة فى تصيير الفاعل مفعولاً، وأكثر ما تُعدّى الفعلَ القاصر. (ابن هشام، لاتا:٩٠) بؤت بحقّها أى أقررت بحقها واعترفت به.

أودى بـ

فَعَينىّ إذ أودى الفراقُ بأربدٍ فلا تجمُدا أن تستهلّا فتَدمَعَا

(لبيد، ١٩٩٧م: ٨٢)

"أودى" فعل قاصر بمعنى هلك ومات يتعدّى بواسطة حرف الباء ويكون بمعنى أهلك وذهب به.

ألوى بـ

وعينِ هلّا بَكيت أربدَ إذ ألوت رياحُ الشّتاء بالعَضَدِ

(لبيد، ١٩٩٧م: ٥٣)

ألوى الانسانُ: أكثر من التمنّى، وإذا استعمل بعده حرف الباء يتعدّى وله معنيان "ذهب بـ" و "أهلك"، ألوى به: ذهب به، وألوى به الدهرُ: أهلكه. (الفيروزآبادى، ٢٠٠٥م: ١٣٣٢) "ألوى بـ" فى هذا البيت تكون بمعنى ذهب بـ وقد وصف الشاعر فى الشطر الثانى أخاه أربد بالكرم والمروءة فى الشدائد أى فى أيام الشتاء حين تحطم الرياح الأشجار وتذهب بها.

ولّى بـــــ

فراقُ أخٍ كان الحبيبَ ففاتَنى وولّى به ريبُ المنونِ فأسرعا

(لبيد، ١٩٩٧م: ٨٢)

"ولّى" فعل لازم ومعناه أدبر، وصار متعديًا بواسطة حرف "الباء" وبمعنى ذهب بـ وولّى به ريب المنون بمعنى مضى حوادث الدهر بأخ الشاعر وزايله عنه.

٢- الأفعال المركبة: هى أفعال تستعمل مع حروف جر معينة غالبا، مثل:

ذبّ عن

نادى مُنادٍ ربّه فأسمعا فذبَّ عن بلادِه وورَّعا

(لبيد، ١٩٩٧م: ٨٥)

الفعل "ذبّ" له معان متعددة منها: لم يستقر فى مكان واحد، وذبل وهزل، وجفّ ويبس، وطرد. (المعجم الوسيط، ٢٠٠٤م: ٣٠٨) لكنه إذا استعمل مع حرف"عن" فله معنى واحد وهو "دافع عن". فذّب عن بلاده بمعنى دافع عنه.

ألمّ على

ألم تُلمم على الدّمنِ الخوالى لســلمى بالمذانب فالقُفال

(لبيد، ١٩٩٧م: ٩٠)

قد يستخدم الفعل "ألمّ" مع حرف "على" ويكون بمعنى نزل بـ ألمّ على الدمن الخوالى: نزل بها ووقف عندها.

أثنى على

وأثنوا عليــه بالذيكان عنده وعضّ عليهِ العائداتُ الأناملا

(المصدر نفسه: ١٠٣)

أثنــى الحيوان: ألقى ثنيته. (المعجم الوســيط، ٢٠٠٤م: ١٠١) وهذا الفعل يســتخدم مع الحرف "على" غالبا ويتغير معناه عن مجرده، أثنى على فلان: أطراه ووصفه بالخير.

٢- المصاحبة اللفظية على مستوى النمط الاسمى

يتكوّن هذ ا النوع من المصاحبة اللفظية من اسمين ويشــتمل على عدة أشكال، منها موصوف وصفة ؛ مضاف ومضاف إليه ومعطوف ومعطوف عليه ويتكوّن من اسم وحرف.

ألف) المصاحبة الوصفية (الموصوف والصفة)

المصاحبــة بــين الصفة والموصوف من أهــم صور المصاحبة اللفظيــة. فهى من أبرز الصور التى تظهر مدى التلازم بين الألفاظ؛لأن بعض ألفاظ توصف بكلمات معينة فقط وبعض صفات تختص بألفاظ معينة فقط دون غيرها، ومنها فى شعر لبيد:

قرن أعضب

يا أربدَ الخيرِ الكريمَ جدودُه خلّيتنى أمشى بقرنٍ أعضبِ

(لبيد، ١٩٩٧م: ٤٠)

"الأعضب" بمعنى المكســور، ومكســور القرن كناية عمن لا ناصر له أو من ليس له أخ. (المصدر نفســه: ٤٠) وقد قصد الشاعر من الإتيان بهذه المصاحبة أن يقول إن أربد أخاه كان مظاهره ومعينه فى جميع الأحوال، وترك الشــاعرَ بعد موته وحيدًا ضعيفًا قد

ذهبت حدّته وبأسه.

الوابل المتحلّب

ولقد أرانى تارةً من جعفرٍ فى مثل غيثِ الوابلِ المتحلّب

(المصدر نفسه: ٤٢)

الوابل هو المطر الشديد، والمتحلب هو السائل والجارى، وقد وصف الشاعر الوابل بالمتحلب للكثرة والشدة. والشاعر قد قصد من توظيف هذه المصاحبة اللفظية أن يشبه قومه بالغيث الغزير لكثرة عددهم.

الزمن الكلاح

كان غياثَ المرمِلِ الممتاحِ وعصمةً فى الزّمنِ الكلاح

(المصدر نفسه: ٤٦)

الكلاح هو السنة المجدبة. (المعجم الوسيط، ٢٠٠٤م: ٧٩٥) تدلّ مصاحبة "الزمن الكلاح" على كرم الممدوح وسخائه، يقول الشاعر إن الناس فى زمن الجدب والقحط يلتجؤون إليه ويطلبون عونه.

المال التلاد

أقى العرضَ بالمالِ التّلادِ وأشترى به الحمدَ إنّ الطّالبَ الحمدَ مُشترى

(لبيد، ١٩٩٧م: ٦٦)

المال التلاد هو المال القديم الأصلى الذى ولد عندك وهو نقيض الطارف، وأصل التاء فيه واو. (الجوهرى، لاتا: ٤٥٠) وتفيد هذه المصاحبة أن العرض هو أفضل وأثمن ما يمتلكه الشاعر ويبذل ما لديه من المال حتى المال الذى ورثه من آبائه لحفظ عرضه والذود عنه.

الخطيب الفاصل

وأبيضَ يجتابُ الخُرُوقَ على الوَجى خطيباً إذا التفّ المجامعُ فاصلا

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٠٤)

قد ورد لفظة "الفاصل" صفةً للخطيب فى هذا البيت؛ لكنه يستعمل غالباً صفةً للكلام، فـ"الكلام الفاصل" بمعنى الكلام الذى يكون حقًا قاطعًا ولا رادّ له ويفصل بين الحق والباطل. والخطيب الفاصل هو أيضًا بمعنى الخطيب الذى يكون كلامه فاصلا، أى كلام الخطيب يكون فيصلًا فى الأمور. وهذه المصاحبة فى هذا البيت تدلّ على أن ممدوح الشاعر له علوّ الشأن والمقام ويكون واقفًا بالأمور وبتمييز الحق عن الباطل.

جنّة عبقرية

درى باليسارى جَنّةً عبقريةً مُسطّعةَ الأعناق بُلقَ القوادمِ

(المصدر نفسه: ١٦٤)

الجنّة بمعنى البستان، وعبقر: هو من الأمكنة التى اقترن اسمها باسم الجن، وهو موضع بالبادية كثير الجن، وقيل هى أرض باليمن كان يسكنها الجن، وقيل إنه بلد كان قديما وخرب، كان ينسب إليه الوشى فلمّا لم يعرفوه نسبوه إلى الجنّ، وقيل هو جبل فى موضع بالجزيرة، ويقول بعض المحدثين يحتمل أن تكون هذه الكلمة فارسية الأصل مشتقة من كلمة (ابكار) بمعنى الرونق والعزة والكمال. وقد ورد هذا الاسم كثيرا فى شعر الجاهليين. (أبو على، ١٩٨٨م: ٢٥٦) نسب العرب إلى عبقر كلّ شىء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته، عبقرى نسبة إلى عبقر وهو صفة لكلّ ما بولغ فى وصفه وما يفوقه شىء. (المعجم الوسيط، ٢٠٠٤م: ٥٨١) و"جنة عبقرية" استعارها الشاعر للإبل فى هذا البيت، وتدل على كرم مرثيه ومروءته، وقد وصف الشاعر مرثيه بالجواد باستعمال هذه المصاحبة لأنه قد نحر لضيوفه أفضل إبله.

الكتيبة الرداح

يا عامرا يا عامرَ الصّباحِ ومِدرَهَ الكتيبةِ الرّداحِ

(لبيد، ١٩٩٧م: ٤٦)

الكتيبة هى الفرقة العظيمة من الجيش تشتمل على عدد كثير من السرايا. (المعجم الوسيط، ٢٠٠٤م: ٦٨٥) و"الرداح" كثير العدد، الكتيبة الرداح هى الجيش الضخمة

ذات العـدد الكثير. قد وصف الشـاعر الكتيبة بالرداح للمبالغـة والتأكيد؛ لأن الكتيبة نفسها تدلّ على جيش جرّار. وقد قصد الشاعر من استخدام هذه المصاحبة أن يبالغ فى وصف ممدوحه بعلو الشأن والمقام.

ب) المصاحبة الإضافية (المضاف والمضاف إليه)

قد جمع لبيد بين اسمين فى حالة إضافة بسبب ارتباطهما الخاص، ومنها:

لزوم العصا

أليس ورائى إن تراخت منيّتى لُزُوم العصا تُحنَى عليها الأصابعُ

(لبيد، ١٩٩٧م: ٨٠)

تدلّ المصاحبة اللفظية فى تركيب "لزوم العصا" على زمن الشـيخوخة؛ لأن الإنسان عندما يهرم ويشـيخ، يضعف ويفقد قواه ولا يستطيع أن يمشى بسهولة ولهذا يلزم العصا ويتـوكأ عليها دائمًا. وقال الشـاعر فى هذا البيت إن أبطـأت منيتى ولا أمت فى الصغر والحداثة أشخ وأصاحب العصا والمحجن.

يوم الكريهة

فجّعنى الرعدُ والصَّواعقُ بالـ ـفارِسِ يومَ الكريهةِ النّجُدِ

(المصدر نفسه: ٥٢)

يـوم الكريهـة مصاحبة تدلّ على الحرب، وسميت بهذا الاسـم لأن الإنسـان يكره الحرب.

بناتُ الدّهر

وأفنى بناتُ الدّهر أربابَ ناعطٍ بُمسـتَمَعٍ دونَ السـماء ومَنظَرِ

(المصدر نفسه: ٦٩)

قـد أضيفت "بنات" إلى "الدهر" وأوجدت إضافة لفظية تكون بمعنى الأيام والليالى. (المصدر نفسه: ٦٥) أو بمعنى حوادث الدهر ودواهيه ومصائبه. إذاكانت المصاحبة بمعنى الأيام والليالى يقصد بها مرور الزمن وتفيد أن مرور الزمن يفنى الناس مهما كان لديهم

مــن القوة، وإذا كانت بمعنى حوادث الدهر ومصائبه تدلّ على أن حوادث الدهر تغلب الجميع حتى الأقوياء وتهلكهم.

زاجر الطير

لَعَمرُک ما تدری الضّواربُ بالحصی ولا زاجــراتُ الطّيرِ ما اللهُ صانعُ

(المصدر نفسه: ٨١)

زجر الطير هو من عادة العرب للتنبؤ بالآتی وللتيمّن والتشاؤم. فإنهم كانوا يزجرون طائرة إن ســنحت يتفاءلون بها وإن برحت يتشــاءمون. (الحاج حســن، ١٩٩٨م: ٥٨) وهذه المصاحبة (زاجرات الطير) تدلّ على العيافة والكهانة وتفيد أن الناس لا يعرفون باستعانة التكهّن ما قدّر الله لهم ولا يعلمون مصيرهم ولا يتطلعون على الآتی.

رابط الجأش

رابطُ الجأشِ على فرجهم أعطِفُ الجَونَ بمربوعٍ متِلّ

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٢٠)

الجــأش: رُواع القلب إذا اضطرب عند الفــزع. (الفيروزآبادی، لاتا: ٥٨٦) ورابط الجــأش مصاحبــة لفظية بمعنى ثابت القلب أو قوی القلب والشــجاع ويســتعمل ربط الجأش وقوی الجأش للشــجاع أيضا. (اليازجی، ١٩٨٥م: ٣١) وتكون استعارة مكنية، شــبّه الشــاعر القلب بما يُربط ويُشدّ كالخيل ثم حذف المشبه به وأتی بشیء من لوازمه. «ورجل رابط الجأش وربيط الجأش أی شديد القلب كأنّه يربط نفسه عن الفرار يكفّها بجرأته وبشــجاعته. وربط جأشه رباطة: اشــتدّ قلبه ووثق وحزم فلم يفرّ عند الروع.» (ابن منظور، لاتا: ٣، ١٥٦١)

أطراف الأسل

قدَّمــوا إذ قال: قيــسٌ قدّموا واحفظوا المجدَ بأطراف الأسَل

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٢٢)

أطراف جمع الطرف وهو منتهی كلّ شــیء، والأسل: نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا

ورق، وسمّى الرمح أسلا على التشبيه فى اعتداله واستوائه ودقّة أطرافه. (ابن منظور، لاتا: ١، ٨٠) وقد أضاف الشاعر لفظة أطراف إلى الرماح وهى مجاز مرسل بالعلاقة الآلية وهذه العلاقة «هى كون الشيء واسطة لإيصال أثر شيء إلى آخر.» (الهاشمى، لاتا: ٢٥٣) أطراف الرماح مصاحبة تعنى الحرب؛ لأنها تكون من آلات الحرب. وقد أراد الشاعر من استعمالها أن يقول إنهم قوم يحاربون الآخرين لحفظ مجدهم والدفاع عنه.

خطل اللسان

لستُ بغافرٍ لبنى بغيضٍ سفاهَتَهم ولا خَطَلَ اللسانِ

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٧٨)

لفظ "خطل" ذو معان متعددة ويختلف معناه باختلاف ما يضاف إليه. رجل خطل اليدين بالمعروف أى رجل جواد معطاء. (اليازجى، ١٩٨٥م: ٣٠) وإذا أضيف إلى الأذن يكون بمعنى الطويلة والمسترخية: رجل خطل الأذن معناها طويلة ومسترخية الأذن؛ وإذا أضيف إلى السهم بمعنى الطائش: رجل خطل السهم أى يذهب شمالًا ويمينًا ولا يصيب الهدف؛ وإذا أضيف إلى اللسان له معنيان، الأول: الطويل، رجل خطل اللسان أى طويل اللسان، والثانى: الفاسد، رجل خطل اللسان أى فاسد الكلام وسيئ المنطق. وهذه المصاحبة فى هذا البيت تدلّ على سوء المقالة وفساد الكلام وقبح المنطق.

ج) المصاحبة العطفية (بالعلاقة التضادية)

يتكوّن هذا النوع من المصاحبة من اسمين معطوفين يبنيان على علاقة التقابل أو التضادّ، نحو:

الملوك والسوقة

وكائن رأيتُ من مُلوكٍ وسُوقةٍ وصَاحبتُ من وَفدٍ كرامٍ ومَوكبِ

(لبيد، ١٩٩٧م: ٢٧)

السوقة: الرعية من الناس، سمّواكذلک لأن الملک يسوقهم ويعرفهم تبعًا لمشيئته. قد

أراد الشاعر من عطف هاتين الكلمتين المتضادتين بيان مخالطته أناسًا مختلفى المستويات بالقول إنه قد رأى من الناس من يكون رفيع المقام وعظيم الشـأن ومن يكون محطوط القدر ووضيع الشأن. وتدل هذه المصاحبة على طول عمر الشاعر وكثرة تجاربه.

وسمّـى هذا النوع مـن التضاد، التضاد المتدرّج وهو «يمكن أن يقع بين نهايتين لمعيار متـدرج أو بين أزواج مـن المتضادات الداخلية. وإنكار أحـد عضوى التقابل لا يعنى الاعتراف بالعضو الأخر».(مختار عمر، ١٩٩٨م: ١٠٢)

الحلال والحرام

دِمنٌ تَجَرّمَ بعدَ عهدِ أنيسـها حِججٌ خَلونَ حَلالُها وحَرامُها

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٣٦)

أراد بالحرام الأشـهر الحرام وهى أربعة وبالحلال أشهر الحل وهى ثمانية، والسنة لا تعدو أشهر الحرم وأشهر الحلّ، فعبر عن مضى السنة بمضيهما. (الزوزنى، ٢٠٠٤م: ١٣٤)

هذا النوع من التضاد يُسمّى التضاد الحاد أوغير المتدرج، «وهذه المتضادات تقسم الـكلام بحسـم دون الاعتراف بدرجات أقـل وأكثر. ونفى أحد عضـوى التقابل يعنى الاعـتراف بالآخر. فإذا قلت إن فلانا غير متـزوج فهذا يعنى الاعتراف بأنه أعزب.» (مختار عمر، ١٩٩٨م: ١٠٢)

الخلف والأمام

فَغَدَت كلا الفَرجينِ تحسَبُ أنّه مَولى المخافة خلفُها وأمامُها

(لبيد، ١٩٩٧م: ١٤٧)

المصاحبـة فى التركيب العطفى بين كلمتى الخلف والأمام فى هذا البيت تدلّ على أن البقرة إن لم تر صاحب الصوت ولم تعرف موقفه وهى تسمع الصوت من جهة، ظنت أن كل جهـة هى موضع صاحب الصوت، فذعرت لا تعرف مفرّها ومنجاها. وقد سمّى هذا النوع من التضاد، التضاد التقابلى أو الامتدادى. (مختار عمر، ١٩٩٨م: ١٠٤)

أيمن وأيسر

على الأعراض أيمن جانبيه وأيسـرُه على كـورَى أُثال

(لبيد، ١٩٩٧م: ٩٦)

عطف الشـاعر لفظ"أيسـر" على لفظ "أيمن" ليظهر حدود السـحاب بالقول إن أيمن المطر على تلك المنطقة وأيسـره على تلـك الجبال، ومصاحبة الكلمتين المتضادتين فى هذا البيت تفيد عظم السـحاب وسـعته وعموم نفعه. هذا التضاد هو التضاد التقابلى أو الامتدادى.

الريث والعجل

إنّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَل وبإذن اللهِ ريثى وعَجَل

(المصدر نفسه: ١١٦)

الريث هو التمهل والإبطاء. وهذه المصاحبة تدلّ على كلّ ما يفعله الانسـان وتفيد أن الانسـان لا يعمل شيئا إلا أن يكون بإذن الله ومشـيئته. التضاد بين كلمتى "الريث" و"العجل" هو التضاد المتدرج.

د)المصاحبة العطفية (بالعلاقة التكاملية)

قـد تأتى بعض الكلمات معطوفة على كلمة أخرى تقترب معانيها ولهذا الاقتران فى المعنى تتصاحبان لتكميل المعنى، ومنها:

العمّ والأب والأمّ

لخيرُنا عمّا وأمّا وأبا وعامرٌ خيرهما مركبا

(المصدر نفسه: ٤٢)

قد أراد الشـاعر من عطف هذه الكلمات الثلاث "العمّ" و"الأب" و"الأمّ" التى بينها صلة وطيدة، أن يصف ممدوحه بعلو الشأن والمقام بالقول إن هذا الممدوح له أصل كريم وحسـب شريف، وإنه نشأ وترعرع فى أسرة تفوق الناس كلّهم. وهذه المصاحبة اللفظية تدلّ على الحسب والنسب.

المحافظ والمحامى

ألا ذهب المحافظُ والمحامى

ومانعُ ضيمنا يومَ الخصامِ

(المصدر نفسه: ١٦٩)

"المحافظ والمحامى" كلمتان مترادفتان ومعطوفتان فى هذا البيت. «الحماية تكون لما لا يمكن إحرازه وحصره مثل الأرض والبلد؛ تقول هو يحمى البلد والأرضَ وإليه حماية البلد، والحفظ يكون لما يحرز ويحصر وتقول: هو يحفظ دراهمه ومتاعه، ولا تقول: يحمى دراهمه ومتاعه، ولا يحفظ الأرض والبلد إلا أن يقول ذلک عامى لا يعرف الكلام.» (العسكرى، لاتا: ٢٠٧)

تدلّ هذه المصاحبة على أن أربد قدكان رجلًا مغيارًا وذا عصبية خاصة لقومه وقبيلته ويذود عنهم ويمنعهم ويدافع عما يجب حفظه وحمايته.

الترادف فى هذا البيت هو الترادف الإشارى: ويقصد بالترادف الإشارى اتفاق لفظين أو أكثر فى المشار إليه، وبناء على ذلک، يوصف اللفظان بالترادف الإشارى إذا كان المشار إليه فيهما واحدا، كصفات النبى (ص) المصطفى والمختار والبشير التى تشير جميعها إلى النبى (ص). (يونس على، ٢٠٠٧م: ٤٠٤) والمشار إليه فى هذين اللفظين واحد وهو ممدوح الشاعر.

والد وولد

ما إن تُعرّى المنونُ من أحدٍ

لا والدٍ مُشفقٍ ولا وَلَدِ

(لبيد، ١٩٩٧م: ٥٢)

قد عطف الشاعر لفظ "ولد" على لفظ "والد" وأوجد مصاحبة لفظية بسبب ارتباطهما القوى. وتفيد هذه المصاحبة أن الموت لا مفرّ منه لأحد وينال النّاس كلّهم. لا والد ولا ولد مجاز مرسل بالعلاقة الجزئية وأريد منهما عامة الناس كلّهم، واستخدامهما تأكيد لعبارة "من أحد".

سارى وغادى وعشيّة

مِن كلّ ساريةٍ وغادٍ مُدجِنٍ وعشيّةٍ متجاوبٍ إرزامها

(المصدر نفسه: ١٣٦)

السارى هو السحاب الماطر ليلًا، الشاعر جمع للدّمن أمطار السنة كلّها؛ لأن أمطار الشتاء أكثرها يقع ليلًا، وأمطار الربيع أكثرها يقع غداة، وأمطار الصيف أكثرها يقع عشيّا. (الزوزنى، ٢٠٠٤م: ١٣٥)

وتدلّ هذه المصاحبة على أن هذه الديار والدّمن يصيبها المطر طوال السنةكلها فى الربيع والصيف والشتاء، ولإصابتها هذه الأمطار المتعددة فى الفصول المختلفة أصبحت أرضها خصبة وممرعة ومشعبة.

النتيجة

لقد عنى لبيد بانتقاء ألفاظه ونظمها عناية كبيرة، وأوجد حسن ترتيب ألفاظه ورصفها تناسبًا لفظيًا ومعنويًا خاصًّا فى شعره. الصلة الوطيدة بين بعض الألفاظ قد أدّت إلى تشكيل مصاحبات لفظية فى أشكالها المتعددة فى شعر لبيد. ولعبت المصاحبة اللفظية دورا هاما فى شعره فى الوصول إلى المعنى المراد، لأنها تساعد فى تحديد المعنى الذى اكتسبته الكلمة خلال تضامنها مع الكلمات الأخرى، بما أنّ أحسن طريقة لفهم معنى الكلمة هو وجودها فى التركيب الذى يسهم فى إبراز معناها.

لقد استخدم لبيد المصاحبات اللفظية على المستويين الأساسيين الفعلى والاسمى فى شعره، وهو وظّف من المصاحبات اللفظية على مستوى النمط الفعلى: المصاحبة بين الفعل والفاعل، وبين الفعل والمفعول به، والمصاحبة التضادية، والمصاحبة بين الفعل والحرف. واستخدم من المصاحبات اللفظية على مستوى النمط الاسمى: المصاحبة الوصفية (الموصوف والصفة)، المصاحبة الإضافية (المضاف والمضاف إليه)، والمصاحبة العطفية بالعلاقتين التضادية والتكاملية. وقد وظف الشاعر المصاحبة الفعلية أكثر من المصاحبة الاسمية؛ المصاحبة بين الفعل والمفعول به أكثر تردّدا بالنسبة إلى المصاحبات الفعلية الأخرى، ثمّ المصاحبة بين الفعل والحرف، ثم المصاحبة بين الفعل والفاعل،

وتقع المصاحبة التضاديــة فى النهاية. ومن المصاحبات الاسمية، المصاحبتان الوصفية و الإضافية تردّدهما أكثر، ثم المصاحبة التضادية، والمصاحبة التكاملية أقل استخداما.

المصاحبات اللفظية المستخدمة فى شعر لبيد من المصاحبات العادية، واستخدام هذا الحجــم الضخم من المصاحبات اللفظية فى أنواعها المختلفة فى الشــعر يدلّ على مقدرة الشــاعر وبراعته فى إنشــاد الشــعر وإلمامه بالموضوع المتحدث عنه واهتمامه باختيار ألفاظه وانتقائها.

المصادر والمراجع

ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبة الله. (لاتا). شرح نهج البلاغة. التحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ١. قم: مكتبة آيت الله العظمى مرعشى نجفى(ره).

ابن منظور، محمد بن مكرم. (لاتا). لسان العرب. ط ١. القاهرة: دار المعارف.

ابن هشام المصرى. (لاتا). مغنى البيب عن كتب الأعاريب. ط ١. بيروت: دار إحياء التراث العربى.

أبوعلــى، محمد توفيق. (١٩٨٨م). الأمثال العربية والعصر الجاهلى دراســة تحليلية. ط ١. بيروت: دار النفائس.

أبوهلال العســكرى. (لاتا). الفروق اللغويــة. التحقيق: محمد ابراهيم ســليم. ط ١. القاهرة: دار العلم والثقافة.

الــبركاوى، عبد الفتاح عبد العليم. (١٩٩١م). دلالة الســياق بين الــتراث وعلم اللغة الحديث. ط ١. القاهرة: دار الكتب.

الجوهــرى، اسماعيل بن حماد. (لاتا). الصحــاح تاج اللغة وصحاح العربية. التحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط ١. بيروت: دار العلم للملايين.

الحاج حســن، حسين. (١٩٩٨م). الأسطورة عند العرب فى الجاهلية. ط ١. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر التوزيع.

حسام الدين، كريم زكى. (٢٠٠٠م). التحليل الدلالى إجراءاته ومناهجه.ط ١. القاهرة: دار غريب.

خليفة راشد، الصادق. (١٩٩٦م). دور الحرف فى أداء معنى الجملة. ط ١. بنغازى: جامعة قازيونس.

داود، محمد. (٢٠٠٤م). القرآن الكريم وتفاعل المعانى. ط ١. القاهرة: دار غريب.

الدســوقى، ابراهيم. (١٤٢٠ق). «المصاحبه اللفظية وتطور اللغة». مجله كلية دارالعلوم. العدد ٢٥. صص ٣٢٨-٢٧٩.

ربابعــة، موســى. (٢٠٠٠م). جماليات الأســلوب والتلقى. ط ١. الاردن: مؤسســة حمادة للدراســات

الجامعية.
الزوزنى، أبى عبدالله الحسين بن أحمد. (٢٠٠٤م).شرح المعقات السبع. ط٢. بيروت: دار المعرفة.
السكاكى، أبى يعقوب يوسف. (١٩٨٠م). مفتاح العلوم. ط١. بغداد: مطبعة دار الرسالة.
صالح حسنين، صلاح الدين. (لاتا). الدلالة والنحو. ط١. لامک: مكتبة الآداب.
طالبى، آمنه فاطمة الزهراء. (٢٠٠٨م). إشكالية حدود الترجمة الآلية ترجمة نظام سيستران للمتلازمات اللفظية، (رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير بإشراف الدكتور عمار ويس). الجزائر: جامعة منتورى، كلية الآداب واللغات.
عبد الفتاح الحسنى، محمد. (٢٠٠٧م). المصاحبة اللغوية وأثرها فى تحديد الدلالة فى القرآن الكريم، (رسالة جامعية لنيل درجة الدكتوراه بإشراف عبد الحليم محمد عبد الحليم ومحمود عبد العزيز عبد الفتاح). القاهرة: جامعة الأزهر.
غزالة، حسن. (١٩٩٣م). «ترجمة المتلازمات اللفظية». مجلة ترجمان. بيروت: دار العلم للملايين، العدد ١، صص ٧-٤٤.
الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب. (٢٠٠٥م). القاموس المحيط. ط٨. بيروت: مؤسسة الرسالة.
لبيد بن ربيعة العامرى. (١٩٩٧م). ديوان لبيد. الشرح والضبط: عمر فاروق الطباع. ط١. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبى الأرقم.
ـــــــــ (لاتا). ديوان لبيد بن ربيعة العامرى. ط١. بيروت: دار صادر.
مجمع اللغة العربية. (٢٠٠٤م).المعجم الوسيط.ط٤. مصر: مكتبة الشروق الدولية.
مختار عمر، أحمد. (١٩٩٨م). علم الدلالة. ط٥. القاهرة: عالم الكتاب.
مطلوب، أحمد وكامل حسن البصير. (١٩٨٢م). البلاغة والتطبيق. ط١. بغداد: وزارة التعليم العالى والبحث العلمى.
الهاشمى، السيد أحمد. (لاتا). جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع. الضبط والتدقيق: يوسف الصميلى. ط١. بيروت: المكتبة العصرية.
اليازجى، ابراهيم. (١٩٨٥م). نجعة الرائد وشرعة الوارد فى المترادف والمتوارد. ط٣. بيروت: مكتبة لبنان.
يونس على، محمدمحمد. (٢٠٠٤م). مقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب. ط١. بيروت: دار الكتب الجديدة.